المنظور الطبي عند الأنبياء في بعده التاريخي

الدكتور عقيل محمود عباس الفحام
جراحة عامة

الملخص:
شعر الإنسان منذ وجوده بنعمة العافية وشقاء المرض ، لذلك سعى إلى المحافظة على صحته باجتناب ما يؤذيها ، والأنبياء من أصدق الناس في تعاطي مهنة الطب حقها ليس بوصفهم أطباء ، وإنما بوصف الطب جزء من التعاليم الإلهية المؤيدة من شريعة السماء ، وجزء من متطلبات الرسالة السماوية للأنبياء في معالجة النفس وبعث الطمأنينة والراحة فيها ، ومن هنا تنبلج الرؤية في علاقة فكرة البحث في الطب عند الأنبياء في بعده التاريخي ؛ لأهمية موضوع الطب والطبابة وارتباطهما الإنساني والروحي والعاطفي في آن معاً ولعدم إلتفات الباحثين إليه في الدراسة. ومن أهم ما توصل إليه البحث أن القوة المؤيدة بالوحي من عند الله والعلوم التي رزقها الله الأنبياء ولاسيما علم الطب وهي مداراة معرفة الله وأمره وخلقه وذلك مسلّم إلى الأنبياء ، فهم أعلم الناس بالله وأمره وخلقه ، ولهذا جاء علاج الأنبياء على شكل كرامات ومعجزات ، فالطب لم يكن عند الأنبياء اكتساب وإنما إلهام ، ولهذا فهو طب يقين قطعي.
وتعد التعاليم الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنّة الشريفة سفراً عظيماً لخدمة الإنسان والمجتمع في البناء الأخلاقي والصحي على السواء ، فكانت الشريعة الإسلامية أكثر عناية بصحة الإنسان من غيرها من الأديان التي سبقتها في حقل الطب.

المنظور الطبي عند الأنبياء في بعده التأريخي

التوطئة:
الطب من المعارف التي تعلمها الإنسان ومارسها لأهميتها في الحفاظ على ديمومة الحياة ، وقد ظهر الطب مع وجود المرض عندما شعر الإنسان به ، وللتخلص من ألم المرض سعى الإنسان جاهداً في البحث عن وسائل الشفاء ، فكان الكشف عن الداء ومعالجته بالدواء في حفظ صحة الأجسام أسبق ما سعى المرء إليه ، وفي ذلك كله تدفعه غريزة المحافظة على النفس ، وعطفه الطبيعي على ذويه الذين غزاهم المرض إلى التدرج في معرفة الطب ؛ لتحري عن ما ينفعه عن طريق التجربة والخطأ ومحاكاة الحيوانات ، واستخراج ما يعتقده أو يجربه نافعاً مما هو موجود في الطبيعة من النباتات والمعادن والغذاء.
وكان الطب والدين متآخيين ، وهما من أوائل الغوامض التي عنيَّ الإنسان بمعرفتها إبان تأهبه للخروج من حالته الهمجية ، فقد كانت العناصر الطبيعية القاهرة تدفعه إلى تخيّل وجود آلهة يستعين بها ضد هذه العناصر ، فاختلطت المعرفة العلمية بالسحر والكهانة وممارسة بعض الطقوس الدينية ، ولذلك أخذت مهنة الطب بعض السمات الدينية ؛ ولاعتبارات قدسية مُورست من قبل رجال الدين وهم الكهان.
وقد يصاب الإنسان بمرض لم يَر سبباً ظاهراً لها ، فعزاها إلى قوة خارقة لتنجيه من المرض ، وهذه القوى تحمل صفات عقلية فائقة جعلت الناس تنظر من يتمتع بها نظرة تختلف عن نظرتهم إلى الأشخاص العاديين بوصفهم أنبياءً ؛ لتمتعهم

بمزايا في التماس الشفاء والقدرة في القضاء على المرض في التحدث بالغيب ، وبقوة إيمان النفس المريضة بالمعالجة والشفاء عن طريق الإعجاز أو الكرامة أو التأييد الإلهي أو الإلهام أو بما أنزل على الأنبياء من صحف تتضمن تعاليم طبية وإرشادية ووصايا ونصائح يحث الخالق فيها الخلق على التمسك بها ؛ لتنظيم حياتهم الصحية : الجسمية والنفسية على السواء.

والأنبياء من اصدق الناس في تعاطي هذه المهنة حقها ليس بوصفهم أطباء ، وإنما بوصف الطب جزء من التعاليم الإلهية المؤيدة من شريعة السماء ، وجزء من متطلبات الرسالة السماوية للأنبياء في معالجة النفس وبعث الطمأنينة والراحة فيها ، ومن ثمَّ تعود على الإنسان بالصحة الجسدية ، ومن هنا تنبلج الرؤية في علاقة فكرة البحث في الطب عند الأنبياء في بعده التاريخي ؛ لأهمية موضوع الطب والطبابة وارتباطها الإنساني والروحي والعاطفي في آن واحد ، ولعدم التفات الباحثين إليه في الدراسة.

وتوخى الباحث في هذه الدراسة الدقة والإحاطة بالنصوص من المضان فعرفها وحللها ؛ لإعطاء صورة تقريبية للطب عند الأنبياء تليق بهذه الدراسة التي حرص فيها على الإفادة من الإشارات في التعبير القرآني التي عالجت طرفاً من قصص الأنبياء - في بعض الأحايين - التي أثرت البحث في هذا الحقل العلمي.

وقد أنتظم البحث في مقدمة وتمهيد لتبيان مفهوم الطب والنبوة في الدلالتين اللغوية والاصطلاحية والعلاقة بينهما ، وقد رُسم له منهجاً له وشيجة بعنوانه يقوم على عرض ترجمة موجزة عن حياة النبي سالكاً فيه السبيل لتبيان أعماله الطبية متبعاً التسلسل الزمني في إدراج تتابع الأنبياء ، وإيضاح المرويات والإشارات لمعرفة الطب الحاصل لهم بطريقة التأييد الإلهي (المعجز والإلهام) أو بطريقة الطب التجريبي ، أو كلاهما معاً.

إن ما قدمته من جهد في هذه الدراسة والنتائج التي توصل إليها البحث هو الصورة التي أخرجتها بالتحري عنها بدقة وحرص شديدين ، أسال الله السداد في التفكير والقول إنه نعم المجيب.

التمهيد: مفهوم الطب والنبوة والعلاقة بينهما

الطّبُّ في اللغة: ((هو العلم بالشيء ، يقال رجلٌ طبٌّ وطبيب ، أي عالم حاذق. قال [الشاعر علقمة الفحل]:

فإن تسألوني بالنساء فأنّني بصير بأدواء النساء طبيب)).(١)

أي رجل عالم حاذق بمعرفة أمور النساء في غير علاج المرض ، فهو الطبيب المترفق بهنَّ.

اما الطب في الاصطلاح فهو: ((حفظ الصحة في الأجساد الصحيحة ، ودفع المرض عن الأجساد السقيمة ، وردها إلى صحتها. ويتجزأ إلى جزأين وهما العلم والعمل)) (٢) ، فعلى الطبيب أن يكون حاذقاً لعمله ، يعطي مهنة الطب حقها ، فلا يرتكب الغلط فيتولد منه أذى المريض ، وتقع عليه مسؤولية كبيرة ، ومهمات صعبة في جملة من الأمور ومنها: النظر إلى نوع المرض وسببه ، وقوة المريض ومزاج بدنه وسنه وعاداته ، وتأثير فصل السنة عليه ، والنظر في قوة الدواء ، وموازنته مع قوة المريض ، ومراعاة الدواء للعلة المعينة مع العلل الأخرى في جسم المريض ، والتلطف بالمريض والرفق به كالتلطف مع الطفل ، ولهذا سُمّيَ ((الطّـبُّ : الرفق. والطبيب الرفيق)) (٣) ، ومن هنا عد ابن خلدون الطب ((صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبر المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلاقة المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولاً في السجية والفضلات والنبض محاذين لذلك قوة الطبيعة فإنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض ، وإنما الطبيب يحاذيها أو يعينها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم كله علم الطب)). (٤)

وفي ضوء الدلالتين اللغوية والإصطلاحية للفظ الطب بوصفه علماً له أصوله وقواعده يمكن تعريفه من خلال العلاقة بين الدلالتين ، فهو العلم الذي يعنى بإصلاح بدن الإنسان ونفسه المعلولتين ومعالجتهما ، والحفاظ على سلامتهما ، والسعي لشفائهما عن طريق الطبيب العالم بمهنته ، والعارف بخباياها ، والمتقن لعمله ، والمتلطف بمعالجة مريضه والمترفق به والمشفق عليه ، والمحافظ لأسراره.

وعلى الطبيب واجبات لابد من الإلتزام بها وهو يمارس مهنة الطب ومنها: أن يكون زكي النفس ، طاهر القلب ، يطيع الله في عمله ، فلا يعطي دواءً قتالاً ولا يدل عليه ولا يشير إليه ، ولا يعطي النساء دواءً يقتل الأجنة ، وأن يكون بعيد عن الرجس والفساد ، حريصاً على مداواة الفقراء ... إلى آخره. (٥)

ومفهوم النبوة له وشيجة وثيقة بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية ، فلفظ (نبأ) في اللغة يعني ((

الإتيان من مكان إلى مكان... ومن هذا القياس النّـــبَأ : الخبر ، لأنه يأتي من مكان إلى مكان والمنبئ: المخبر)) (٦) ، ثم اصطلح على لفظ المخبر بالنبي و ((هو من أنبأ عن الله)) (٧) ، تعالى أي نقل الخبر الموحي إليه من الحق تبارك وتعالى إلى الناس ، ومن هذا الأمر كان الطب عند أكثر الأنبياء حاصلاً بطريقة التأييد الإلهي ، وقد يكون في بعض الأحايين حاصلاً بطريقة التجربة.

وتبرز العلاقة واضحة بين مفهومي الطب والنبوة في أن النبي أصلح الناس وأقدرهم على معالجة بني جلدته من الأمراض العضوية والنفسية ؛ لأنه الصادق الأمين الموحى إليه من الله الشافي المعافي لعبادته في استشفائهم.

الطب عند الأنبياء في المنظور التأريخي.

أشارت المضان التاريخية إلى وجود الطب وأول حدوثه على يد الأنبياء ، بيد أن بعض هذه اللمحات والإشارات لا تعطي فكرة واضحة عن طبيعة الطب في تبيان جذوره الفاصلة بين الطب الإلهي (الاعجازي أو الإلهي) والطب التجريبي (الحاصل بطريقة التجربة) ؛ لقلة المرويات التي تومئ إليهما.

فمن الأنبياء السريان آدم فهو أبو البشرية وأول الأنبياء ، عاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة (٨) وأول من عرف الطب ، وأخذ عنه أبنه شيث ومعنى شيث هبة الله ، ولد شيث بعد مضي مائتي وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم - عليهما السلام- واستودع آدم علم النبوة لابنه بعد أن ترعرع وأينع وأكمل وأبصر ، فأوعز إليه وصيته ، وعرفه محل ما استودعه ، وأعلمه بأنه حجة الله بعده ، وخليفته في الأرض ، وأنزل الله على شيث خمسين صحيفة ، وحكم في الناس واستشرع صحف أبيه وما أنزل عليه في خاصته من الأسفار والاشراع (٩) فعمل بما فيها ، وبنى الكعبة بالحجارة والطين ، وظل مقيماً في مكة يحج ويعتمر إلى أن مات ، وكان وصيه أبنه أنوش ، ودفن شيث مع أبويه في غار أبي قبيس ، وكانت وفاته قد أتت عليه تسعمائة واثنتا عشرة سنة. (١٠)

وتذكر المضان نقلاً عن الصابئة: ((إن شيث أظهر الطب ، وأنه ورثه عن آدم عليهما السلام)). (١١)

ويبدو أن آدم تعلم الطب بالتأييد الإلهي بطريقة الإلهام والوحي من الله تعالى ، ثم أخذ ابنه شيث الطب منه وأشاعه على غيره على سبيل المشافهة بدلالتين: الأولى بدلالة التعبير ((أن شيث أظهر الطب)) الذي يومئ إلى أنه تعلم الطب وقراءه ظاهراً على غيره ، فلم يكن مقتصراً على نفسه ، ويحتمل أنه مارسه ، والثانية: إن شيث ورث أبيه النبوة وعلمه ، ومن العلوم علم الطب وخص آدم الميراث شيث ؛ لأنه الوصي من بعده.

فتعلم شيث الطب بوسيلة الوحي لأنه نبي ، وبوسيلة التجربة لأنه عمل به وأظهره على غيره بطريقة المشافهة ، وليس بشيء مكتوب لتذاكر به.

وورد في أخبار الطوفان ذكر النبي الثالث من نسل شيث وهو إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم (١٢) وسُمي في العربية إدريس ؛ لكثرة دراسة الكتب وصحف آدم وشيث (١٣)- عليهما السلام- ، ويسمى بالعبرية اخنوخ ، وبالفارسية الهجد ومعناه ذو عدل ، وذكر في التعبير القرآني : ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)) (١٤) ، فأثنى الحق تبارك وتعالى عليه بوصفه صديقاً ، ونعته بالنبوة ، ورفعه إلى السماء العليا ، وتوارى عن الوجود بعد أن ناهز عمره ثلاثمائة وخمس وستين سنة. (١٥)

وإدريس أحد أنبياء اليونان (١٦) ((وحكمائهم ، وحكماء اليونانيين يسمونه هِرُمس الحكيم وهو عظيم عندهم)). (١٧) فهو نبي العرب واليونان على السواء ، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، وجمع له علم الماضيين ، وأرسل إلى أهل الأرض جميعهم في زمانه ، وهو أول من جاهد في سبيل الله ، وبنى الهياكل ومجّد الله فيها وأول من نظر في علوم النجوم والحساب (١٨) وتكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وساعات الليل والنهار ، وهي من العلوم التي أودعه إياها جده آدم - عليه السلام - ، وهو أول من خط بالقلم ، وأول من ألف كتاباً لأهل زمانه في معرفة الأشياء العلوية والأرضية ، وهو أول من أنذر بالطوفان (١٩) ، فخشى على ضياع ((العلم بالطوفان فبنى البرابي وهو الجبل المعروف بالبرابر بأخميم وصور فيها جميع الصناعات وصنّاعها نقشاً وصور جميع آلات الصنّاع ، وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده ، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم ... [و] إن إدريس أول من درس الكتب ونظر في العلوم)). (٢٠)

ومما يحسن ذكره: إن إدريس سلك منهجاً جديداً عن غيره من الأنبياء السابقين له في مجال العلم ، فهو أول من قيد العلوم بالكتابة ، فحرص على جمع علوم الماضيين وتدوينها والنظر فيها والحديث عنها ودراستها ولاسيما علم الطب ، فقد عُرف عنه أنه درس الطب ودرسه ، فهو ((أول من نظر في الطب وتكلم فيه)) (٢١) بعد النبيين آدم وشيث.

وورد في الأخبار أنه ((أول من برع في الطب)) (٢٢) بوصفه

صناعة أو مهنة قائمة بذاتها موازنة مع صناعة العلوم الأخرى.

ومما تقدم يتبين أن إدريس حصل على علم الطب بثلاثة طرق: الأول ، كان حاصلاً بطريقة التأييد الإلهي بما أنزل عليه الوحي من الله تعالى ، وأوحى إليه بوصفه نبياً ومرسلاً إلى أهل الأرض جميعهم في زمانه على نحو ما ذكرناه آنفاً. والثاني كان حاصلاً عن طريق الميراث من أسلافه آدم وشيث - عليهما السلام- ضمن علوم الماضيين ، وقد جمع النبي إدريس - عليه السلام- العلوم وصنّفها ، ولاسيما علم الطب ، وقيده بالكتابة ، ودرسه وعلمه غيره ، وبهذا دخل الطب بوصفه صناعة أو مهنة - مرحلة جديدة - ، وهذا يعني أن الأنبياء أول من مارسوا الطب ، ولاسيما على يد النبي إدريس - عليه السلام-

أما الطريق الثالث ، فقد كان حاصلاً عن طريق التجريب ، فلا نستبعد أن يكون النبي إدريس قد استعمل طريقة التجريب في استشفاء المرضى ، وهو إجراء تجارب تتجلى في ربط القواعد بين السبب والمسبب ، أي العلة بالمعلول ؛ لوصف علاج ذو وشيجة بين الداء والدواء إلى جانب مشاهدة المريض مدة مرضه ، فمجموعة التعاليم النظرية الملازمة للتدابير التجريبية المطبقة على جسم الإنسان للحفاظ عليه تستدعي دعائم في المعرفة بنظام صحي مستوحى من طبيعة الحياة وخصائص النفس وحاجة الجسم لها.

ويبدو أن البدايات التجريبية في علم الطب قد استأثرت بشكل أوسع من قبل تلميذ النبي إدريس - عليه السلام- النبي الطبيب اليوناني اسقليبيوس فذكر أن أبا معشر البلخي المنجم قال: ((إن اسقليبيوس هذا لم يكن بالمتأله الأول في صناعة الطب ولا بالمبتدئ بها ، بل أنه عن غيره أخذ ، وعلى نهج من سبقه سلك))، (٢٣) أي أنه تابع منهج أستاذه النبي إدريس وسلك مسلكه في التعلم والدرس والتجربة.

و اسقليبيوس بن زيوس ، كان قبل الطوفان عاش تسعين سنة ، منها خمسين قبل أن تنفتح له القوة الإلهية ، وأربعين سنة عالم ومتعلم ، و اسقليبيوس اسم مشتق من البهاء والنور عند اليونانيين ، ويعني منع اليبس في العربية ،(٢٤) وهو لغز يذهب ((فيه إلى أنه من قوة الله تبارك وتعالى واشتق لها هذا الاسم من فعلها وهو منع اليبس. قال حنين: لما كان الموت إنما يعرض عند غلبة اليبس والبرد ، وكان هذان جميعاً يجففان البدن الميت ، سميت بهذا الاسم المهنة التي تحفظ على الأبدان القائمة حرارتها ورطوبتها ، كيما تلبث على الحياة باسم يدل على عدمان اليبس)). (٢٥) ومن هنا اشتق اسم اسقليبيوس من مهنة الطب واقترن اسمه بها وأنه اسم لملك بعثه الله فعلم الناس الطب.

فكان ملكاً معلماً عند اليونانيين ، وكان الملوك من نسله تدعي له النبوة وإن الله تعالى رفعه في الهواء في عمود من نور ، فكان الناس تستشفي بقبره ، وكان طبه طباً إلهياً. (٢٦) ولذلك كله نعت بالملك والنبي الحكيم والإلهي.

وكان اسقليبيوس ذكي الطبع قوي الفهم حريصاً مجتهداً في صناعة الطب ، حاذقاً ماهراً فيها، وقد انكشفت له أمور عجيبة في العلاج بالإلهام من الله تعالى، فذكرت أخبار وحكايات عجيبة ظهرت عنه بتأييد الإلهي ، وشاهدها الناس، وكان من الأوائل الذين تكلموا في الطب عن طريق التجربة.(٢٧) ونسب المتعلم الأول إليه على عادة القدماء في تسمية المعلم أباً للمتعلم ، وتناسل من المتعلم الأول أهل بيت اسقليبيوس وكلهم ينتحلون رأي أستاذهم اسقليبيوس في الرأي بالتجربة ، وكان ملوك اليونانيين والعظماء منهم ، لم يمكنوا غيرهم من تعليم صناعة الطب، فيعلم الرجل منهم ولده أو ولد ولده عن طريق المخاطبة ، ولم يدونوها في الكتب وما احتاجوا إلى تدوينه في الكتب دونوه بلغز حتى لا يفهمه أحد سواهم ، فيفسر ذلك اللغز الأب للابن ، وبات الطب في الملوك والزهاد يقصدون به ألاحسان إلى الناس من غير أجرة ولا شرط ،ولم يزل كذلك إلى أن جاء ابقراط من نسل اسقليبيوس فدون الطب في الكتب وأخرجه من دائرته الضيقة وعممه ، خشية أن تبيد هذه الصنعة لقلة الأنبياء المتوارثين ، فوضع للمتعلم ناموساً عرّف فيه من الذي ينبغي له إن يتعلم صناعة الطب ، وارد فه بوصية عرّفَ فيها ما يحتاج إليه الطبيب في نفسه. (٢٨)

ويمكن إن نسجل للنبي اسقليبيوس اليوناني ما يأتي : على الرغم من أنه سلك طريق من سبقه من الأنبياء في معرفة الطب ، وانه لم يكن أول من ابتدأ به ، وانه كان حاصلاً له بطريقة التأييد الإلهي ، كان قد خطى بهذا العلم مرحلة جديدة في استشفاء المرضى عن طريق التجربة ، وهي مرحلة المعلومات التي حصل الإنسان عليها بفضل المراقبة والمشاهدة لجسم الإنسان ووظائف أعضائه ، وهي مرحلة جديدة من التفكير العقلي والخبرة المنظمة تبدأ بالظهور لتشق الطريق نحو تعزيز مكانة العقل والتجربة في فهم المرض وكيفية الاستشفاء منه فقد أدراك اسقليبيوس أن التجربة والممارسة الطبية المقترنة بالخبرة من دواعي الطبيب الحاذق ، فلا انفصال

بينهما في معرفة الطب. وهذا يكشف عن وجود نهضة علمية يونانية ، بيد أن علم الطب بعد اسقليبيوس بات أسير احتكار الكهنة من سلالته ، فلم يسمحوا بتعلمه إلا لنسلهم وخاصتهم من أهل بيته وأقاربه الذين اقتدوا برأي أستاذهم اسقليبيوس في التجربة ، فكان الطب كنزاً وذخيرة يكنزها الآباء ويدخرونها للأبناء حرصاً منهم على قيمة هذا العلم الثمين لئلا يكون مطروحاً في الطريق يطرقه سواد الناس. ولذلك أضحى الناس يألهون متعاطيه من الملوك والكهنة والذين يتصفون بالصفات الإلهية ، فلا نستبعد أن يرتبط الطب اليوناني - بعد اسقليبيوس - بالدين في اقتران الممارسات الطبية والتجارب بطقوس دينية معينة ترافق العلاجات الطبية المختلفة ، التي لا تخلو من الحكايات والأساطير والتعاويذ والتعليلات في كيفية حدوث المرض وكيفية إزالته.

وشهدت اليونان نهضة طبية علمية كبيرة في عهد الاسكندر المقدوني ، وهو أحد ملوك اليونان وحكمائهم وأنبيائهم من أولاد يونان بن يافث بن نوح ، (٢٩) عاش قبل ثلاث وستين وثلاثمائة سنة قبل الميلاد. (٣٠) والاسكندر لقب لملك اليونان مثل لقب كسرى ملك فارس ، وقيصر لقب يطلق على ملك الروم ، ويقال له ذو القرنين ، وورد ذكره في القرآن المجيد عندما بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون النبي به النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال تعالى :((وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا)) (٣١). وقد مكنه الله في الأرض فأعطاه ملكاً عظيماً ، وسلطاناً شديداً وكثرة في المال والجند ، وحكمة في التدبير ، وعقلاً في العمل ، ومعرفة في منازل الأرض وأعلامها ، وقوة ونجدة وبأساً وهمة عالية ، ويسَّر الله له الأسباب والوسائل إلى فتح الأقاليم والأراضي والبلدان وكسر شوكة ملوك الأرض ، وإذلال أهل الشرك ، فملك المشارق والمغارب من الأرض ودانت له البلاد وخضعت له الملوك ، وخدمته الأمم من العرب والعجم ، ولهذا سمي ذا القرنين ، لأنه بلغ قرني الشمس: مشرقها ومغربها وكان ملكه أربع عشرة سنة. (٣٢)

ومن أعماله التي اخبرنا بها الحق تبارك وتعالى (٣٣) بناء السد لحجب قوم يأجوج ومأجوج الذين عثوا في الأرض فساداً ؛ ليمنع من تجاوزهم وتعديهم على غيرهم.

بنى الأسكندر اثنتي عشر مدينة ومنها مدينة الاسكندرية في مصر (٣٤) وفيها نشأت مدرسة الطب ونبغ فيها عدد من الأطباء جعلوا من المدينة مركز علم تشع منه نور المعارف إلى أرجاء البلدان الأخرى وبقيت مركزاً للطب والثقافة لقرون عديدة (٣٥) ويبدو من اهتمام الاسكندر وعنايته بمجال الطب أنه من الأنبياء الذين نظروا في علم الطب (٣٦) وله باع فيه.

ومن المفيد أن نمهد للوثبة العلمية في الطب عند اليونان في عهد الاسكندر التي أصبحت شعلة علمية وهبها الفكر اليوناني للعالم فضلاً عن استقطاب علم الطب من أقاليم البلدان التي دانت له ملوكها. فقد كانت هذه البلدان أقدم الأمم التي عنيت بالطب، ومنها:

العراق القديم ، فقد علا شأن الطب عند السومريين ، فكان لكل داء دواء خاص ، ولكنه ظل يختلط بالدين ، ويعترف بأن المرض لا يمكن شفاءه إلا إذا طردت الشياطين من أجسام المرضى ؛ لأن الأمراض تنشأ من تقمصها هذه الأجسام.

وقد عثر في كيش على رقيم يرجع تاريخه إلى ٤٢٠٠ سنة قبل الميلاد ، ثم عثر على قوالب منقوش عليها نصوص طبية ، وفي لجش عثر على خاتم طبيب يرجع تاريخه إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد مكتوب عليه اسم صاحبه ، وعلى الخاتم رسم المعبود (ايرو) إله المرض والوباء. وعبد السومريون (ايا) إله الحكمة والشفاء ، كما عبده الأكاديون والبابليون والآشوريون ، وكان هذا ألآله يتردد كثيراً في نصوص السحر والأساطير والأدعية والصلوات الدينية ، وفي نصوص الرقي والتعاويذ والحكمة والطبابة ، وكان مركز ايا الديني (اريدو) مدينة الرقي والتعاويذ ، ومركز الشفاء عند مصب الماء العذب ، وكان الناس يتطلبون منه أن يتصف بالقوة التي تطرد الأمراض والأوبئة ، وتحرر المرضى المعذبين من وطأة الأرواح الخبيثة ، ومما لاشك فيه أن الماء له أثر كبير في الطبابة الدينية ، فقد كان يطلق عليه ماء الحياة الذي يطهر المرضى من الخبائث وينجيهم من الأمراض ، وهذا الماء بيد ألآله (ايا) وكان أسمه مذكور في الرقي باسم سيد الشفاء (بيل ..... أو بعل شفتي) ، وكان الكهنة المختصين بعمليات التعاويذ يقومون بمهمة الطبابة يساعدونه وينوبون عنه. (٣٧)

وقد ازدهر الطب عند المصريين ففسح المجال لمتعاطيه من الكهنة إمكانية المعالجة لكثير من الأمراض ، ودونت معارفهم الطبية في ملفات من أوراق البردي وجدت بين الدفائن المصرية التي كشفت عنها الحفريات التي تعود إلى ثلاث آلف سنة أو أكثر ، وقسمت الأبحاث فيها على أبواب ، منها : الطب الباطني والجراحي والنسائي ، وأمراض الفم والأذن والأنف والعين ، وتضمنت ، الأوراق المذكورة أسماء الأدوية وبينت أثرها في الجسم وما يصنع منها

في أشربة وغير ذلك من صفاتها ومقادير استعمالها وكيفيتها ، وأتت على ذكر الطلاسم والتعاويذ والرموز السحرية.

وان المصريين القدماء أول من عمل الختان حوالي ٢٧٠٠ ق.م للوقاية من الأمراض الجنسية وسلامة أعضائها ، وكان عند المصريين إله للطب أسمه (امحوتب) ، وآلهة للشفاء وأسمها (ايزيس).

ومصر مدينة بعلومها الطبية إلى بعض أمم الشرق القديمة إذ أن الحفريات التي أجريت في الشمال الغربي من الهند دلت على أن هنالك مبادلات قديمة علمية وتجارية بين مصر وبابل والهند ، والكهنة المصريون كانوا يشدون الرحال من ضفاف النيل ؛ ليغترفوا من مناهل الحكمة الهندية . (٣٨)

ولا يخفى أن الفرس غزوا بلاد اليونان والهند ومصر وبابل وكلدان ، فنقلوا إليهم حضارات البلدان المذكورة وعلومها ؛ ولذلك فالطب الفارسي كان آشورياً في بدايته ومتنوع التعليم في ثاني مرحلته ، يدل على ذلك ما اشتمل عليه كتاب زردشت من أبحاث طبية ذكرت فيها أسماء أدوية عديدة لأمراض مختلفة كانت معروفة عند الآشوريين ، وذكرت الصفات التي يجب أن يتحلى بها الطبيب، وكان عند الفرس أطباء يعنون بملوك إيران بحسب الطريقة المصرية وآخرون بحسب الطريقة الهندية ومنهم يتبع طريقة الطب اليوناني . (٣٩)

إن ما أريد قوله في هذا التقديم ، ان الاسكندر عندما غزا سنة ٣١١ ق.م الأقاليم والبلدان ومنها بلاد اليونان ومصر وفارس والهند والعراق وغيرها ، عمد إلى نقل العلوم من هذه البلدان ، ولاسيما علم الطب إلى اللسان اليوناني وأهم ما يطبع الطب اليوناني انه جمع من علم البلدان المتفرقة في باقة عطرة قدمها تحفة ثمينة سهلة المنال إلى العالم .

وكان من نتاج جمع المعارف الطبية العالمية والخبرات المسطورة في المضان على يد الاسكندر ، أنشاء مدرسة الطب في الإسكندرية التي توافد إليها الأطباء فأصبحت مصدر أشعاع علمي طبي لمن يريد أن ينهل منها.

ومن الأنبياء الذين عنيّ بأعضاء جسد الإنسان فاستعان بتدابير صحية ووقائية مستمدة من المفاهيم الاجتماعية والروحية والدينية لحمايته من المؤثرات المؤذية التي تؤدي إلى ضعف صحة الإنسان ومن ثم إعلاله، وهو نبي الله الخليل ((إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن أسرغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح ..... وإبراهيم أول من ضاف الضيف ، وأول من ثرد الثريد وأطعمه المساكين ، وهو أول من قص شاربه وأستحدَّ وآختتن وقلم أظفاره وأستاك وفرق شعره وتمضمض واستنشر واستنجى بالماء..... وعاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة)). (٤٠)

التزم النبي إبراهيم -عليه السلام- التدابير الصحية لحفظ صحة جسمه وعقله ونفسه ، تضمن له الوقاية من الأمراض ، والخلاص منها ، وهي عبارة عن نظام تربوي صحي يسد حاجة الجسد والنفس ، وإعطاء حقهما في ديمومة الحياة ، ومن هذه التدابير العملية التي يؤدي تطبيقهما إلى حفظ صحة المرء هي ، قص الشارب ، لتجنب تجمع العلائق من جراء الطعام والشراب ، فتكون بؤرة لتواجد الجراثيم التي تسبب أمراض معوية ، فضلاً على عدم حسن منظرها.

وتقليم الأظافر من التدابير الوقائية للحماية من الجراثيم التي تتكون بين الأظافر ، وقد تكون سبباً في الميكروبات عن طريق تناول الطعام إلى الفم ما لم يعنى بنظافتها بصورة جيدة .

وان نظافة فضاء الفم لمرات عديدة في اليوم عن طريق استعمال الماء والمسواك أو الفرشاة من أهم الأسباب الوقائية لسلامة الأسنان من الأمراض التي تؤدي بها إلى التلف من نخر الأسنان وتسوسها وتغير لونها إلى الأصفر والأخضر والأسود في أصل السن وفي داخله وخارجه حتى يصل إلى التهاب اللثة وقبح شكلها ، ونتن رائحة الفم ، وألم أصل السن ، فلا ينفع ألا بقلعه .

وتمشيط الشعر يساعد على تنشيط الدورة الدموية في الدماغ ، ويزيل البلادة ، ويجمل منظر المرء. وغسل فضاء الأنف بالماء البارد من أهم الأسباب الوقاية من الزكام المتكرر.

ومن التدابير اللازمة لصحة الإنسان والحاجة اليومية إليها لازمة في بقاء الحياة اضطرارياً ؛ وهي الاستنجاء بالماء بعد عملية الاستفراغ من فضلات الغذاء الكائن في المعدة ، لدفع الضرر في حصول المرض ، والتطهر من النجاسة بعد أثر الغائط.

فالأساس في هذه التدابير الوقائية التي ألزم النبي إبراهيم -عليه السلام- نفسه ، هو نظافة أعضاء الجسم ، ومن ثم الجسم كله للحفاظ على سلامته.

وللوقاية من الأمراض الجنسية وسلامة أعضائها فلابد من نظافة الأعضاء التناسلية من حلق الشعر ، وختن الذكر . وقد أخذ الله تعالى العهد من خليله إبراهيم في ختان نفسه ، وختن ذريته على مدى الأجيال ، وعن مواليد الناس

عامتهم ، ومن لم يختن يعد ناكثاً للعهد ، وهذا ما ورد في التوراة : ((أن يختن كل ذكر منكم تختنون رأس قلفة غرلتكم فتكون علامة العهد الذي بيني وبينكم تختنون على مدى أجيالكم كل ذكر فيكم ابن ثمانية أيام سواء أكان المولود من ذريتك أم كان ابناً لغريب مشترى بمالك ممن ليس من سلك. فعلى كل وليد سواءٌ ولد في بيتك أم اشتري بمال أن يختن ، فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبدياً . أما الذكر الأغلف الذي لم يختن، يستأصل من بين قومه لأنه نكث عهدي)).(٤١)

فالختان ضرورة لازمة لبقاء النوع بسلامة العضو التناسلي من الأمراض وأهمها العفن الذي يتكون بين القلفة والغرلة الذي يسبب التهاب العضو الذكري بسبب النجاسة المتبقية أثناء عملية الإدرار ، فالختان إجراء وقائي للطهارة والصحة ، ولذلك سمي الختان الطهور مثلما متعارف عليه اليوم ، وفيه يكثر النسل ، فقد ورد في خطاب الله تعالى لخليله إبراهيم - عليه السلام - في التمسك بعهد الختان على نفسه وذريته والناس جميعاً : ((ها أنا أقطعُ لكَ عهدي فتكونُ أباً لأممٍ كثيرةٍ ... وأصيرك مثمراً جداً ، وأجعلُ أمماً تنفرع منك)). (٤٢) وكان نتاج الالتزام بالختان عهد الله بكثرة ذرية إبراهيم وغيره.

ويبدو أن التركيز على ختان المولد في عمر ثماني أيام ، أن للجرح قابلية على الالتئام بوقت أقصر ، وشفاءه أسرع ، وألمه أقل ، بخلاف الطفل الذي عمره سنين يكون التئام الجرح بوقت أطول وشفاءه أبطأ ، وألمه أكبر يستمر طول مرحلة علاجه.

وقد أختن إبراهيم وابنه إسماعيل ومعه أولاد الغرباء تنفيذاً لعهد الختان على نحو ما ورد في التوراة : ((وكان إبراهيم في التاسعة والتسعين من عمره عندما ختن في لحم غرلته ، أما إسماعيل ابنه فقد كان ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته ، وهكذا ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه في اليوم نفسه ، وكذلك خُتن معه كل رجال بيته المولودين فيه والمبتاعين بمال من الغريب)). (٤٣)

وصفوة القول: يتبين أن في عهد النبي إبراهيم - عليه السلام - وجود ممارسات طبية متقدمة في فن الجراحة وخبرات علمية متطورة في أدوات الجراحة ومنها ، المبضع أي المشرط ، وأداة الكي ، لمنع النزف الذي يحصل في عملية الختان ، وأن التدابير الوقائية جميعها في عهده تؤكد على النظافة الصحية العامة والطهارة ، والحث عليها ، وهذا الإرث الذي أرسى قواعده النبي إبراهيم - عليه السلام - بإيحاء من الله تعالى هو أحد مرتكزات الإسلام في الطب والدين.

ويكشف الطب العدلي أسباب الجنح الجنائية في حالات الوفاة وعدمها ، من الوفاة الطبيعية وغير الطبيعية أي المقصودة أو المدبرة ، وقصة كشف النبي يعقوب - عليه السلام - عن جناية أبنائه في تدبير خطة لقتل أخيهم يوسف - عليه السلام - أوضح مثال على هذا الأمر.

ويعقوب هو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم وسمي يعقوب ؛ لأنه عُقب توأمه عيص ، وتوفي وله من العمر مائة وأربعون سنة ، (٤٤) كان يوسف أحب أولاد يعقوب إلى أبيه ؛ لجماله وصغر سنه ويتمه من أمه راحيل ، ولتقواه وإيمانه ، فحسده أخوته ، وأتمروا عليه ، ثم احتالوا على أبيهم أن يرسله معهم ليلعب وهم له حافظون ، فأعتذر لهم خشية أن يأكله الذئب وهم لاهون ساهون عنه ، فلم يزالوا يراودونه حتى رضيَّ وذهبوا به بالبر ، فألقوه في غيابة الجُّب ، ونزعوه قميصه ، ولطخوه بدم كذبٍ ، وجاء به إلى أبيهم يبكون وينعوه بأخيهم يوسف ، وكان من خبره ما قصه الله تعالى في كتابه العزيز. (٤٥)

وظاهر الجناية وجود قميص ملطخ بالدم من غير جثة للاستدلال على وقوع حدث الوفاة ، بيد أن النبي يعقوب - عليه السلام - أكتشف ذلك للأسباب الآتية:

أولاً: تبدأ حياكة الجريمة من حسد أخوة يوسف لأخيهم عندما خشي النبي يعقوب أن يحدث يوسف - عليهما السلام - برؤياه أحداً من أخوته فيحسدونه على ما حباه الله تعالى له من منزلة رفيعة في الدنيا والآخرة ، فيبغون له الغوائل حسداً منهم. (٤٦) قال تعالى : ((إِذْ قَالَ يوسف لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى اخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا....)). (٤٧)

أيقن النبي يعقوب - عليه السلام - أن الله سيتولى أمر يوسف ويرفع قدره فينال عرش الملك ، ويخصه بالكرامة ، ولذلك أشفق عليه من أخوته وظاهر دلالة الآية تبين أن يعقوب - عليه السلام - وزوجه وأحد عشر من ولده غير يوسف سيخضعون ليوسف ، ولهذا يجد النبي يعقوب أن أولاده حملهم الكبر والأنفة فحسدوا يوسف ليحولوا بينه وبين ما تبشر به رؤياه (٤٨) ولذلك قال أباه له ((لا تقصص رؤياك)).

ثانياً: عبَّر يعقوب - عليه السلام - رؤيا ابنه يوسف - عليه السلام - في اختيار الله تعالى له باصطفائه للنبوة ، وتعبير الرؤيا ، والإيحاء له بالرسالة وهذا ما ورد في التعبير القرآني عن قول يعقوب لولده يوسف: ((وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يعقوب كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إبراهيم وَإِسْحَاقَ

إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) (٥٠) ، وعلم يعقوب أن يوسف - عليه السلام - لم يقتل ؛ لأن الله تعالى أراد ليوسف أمراً في إتاه الحكم والنبوة والملك والعزة في مصر التي ذكرها تعالى في إتمام النعمة على يوسف في قصته.

ثالثاً: لما تواطأ أخوة يوسف على أخذ أخيهم وطرحه في البئر: ((قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يوسف وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ)) (٥١) ، فأخذوا من فم أبيهم كلامه: ((أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ)) وجعلوه عذرهم فيما فعلوا: ((قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يوسف عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ....)). (٥٢)

رابعاً: إن ما يدل على ضعف إدعاء أخوة يوسف ووهن مقالهم ما حكاه التعبير القرآني : ((وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)) (٥٣) ، وعلم النبي يعقوب أن الدم الملطخ بقميص يوسف دم كذب لا يدل على أن الذئب قد أكل صاحبه ؛ لعدم وجود أي خرق فيه يدل على افتراس الذئب له ، وما وصفه أخوة يوسف لأبيهم غير صحيح ، وعندما عرف يعقوب بعدم اكتمال خيوط الجريمة قال لأولاده: ((بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا)) ، أي ليس الأمر على ما أخبر به ، بيد أنه مبهم عليه ، وكظم يعقوب غيظه على أولاده ، وتجمَّل بالصبر.

والصبر علاج نفسي يحافظ على نظام النفس ؛ لاستقامة أمر الحياة الإنسانية من الاختلال ، وضبط النفس من نسيان التدابير واختباط الفكر وفساد الرأي ، فالصبر نعم السبيل على مقاومة النوائب وكسر سورها ، (٥٤) والمرء يثاب عليه في الدنيا والآخرة. بيد أن الصبر ليس فيه تمام إعادة العافية وإرجاع السلامة فقد أبيضت عينا يعقوب لكثرة البكاء على أبنه المفقود.

ولم يكن شفاء عيني يعقوب عن طريق دواء أخذه ، وإنما كان لحكمة إلاهية ، فالقميص الذي كان سبباً لحزن يعقوب وبكاءه لفراق ابنه يوسف كان سبباً لشفائه ، فقبل ختام قصة النبي يوسف - عليه السلام - بعد أن أصبح عزيز مصر ، ونال الحكم والنبوة ، وقد عرفه أخوته ، وأخذوا منه العير ، وأخبروه بما حدث لأبيهم ، فقال لهم: ((اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتْ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يوسف لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ)). (٥٥)

إن طب النبي يوسف - عليه السلام - كان طباً كرامة من الله وهبه له لحكمة إلاهية اقتضاها التأييد الإلهي جزاءً لصبر يعقوب - عليه السلام - لما ابتلاه.

عاش النبي يوسف في مصر دهراً وقبل أن يحتضر جمع بني إسرائيل وأوصاهم بالخروج من مصر بعد ظهور النبي موسى بن عمران ، ودفنه عند قبور آبائه ، ومات وله من العمر مائة وعشر سنين. (٥٦)

ومن الأنبياء الذين مرضوا وشفاهم الله تعالى بوحي منه النبي أيوب بن اموص بن زارح بن رعوئيل بن عيصو بن اسحاق بن إبراهيم ، وهو معاصر للنبي يعقوب ويوسف - عليهما السلام - عمَّر النبي أيوب ثلاثاً وتسعين سنة ، وبعث الله تعالى بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفل. (٥٧)

ومن النعم التي أنعم الله تعالى على عبده أيوب المال والولد والصحة ، بيد أن الحكمة الإلهية اقتضت امتحانه وابتلائه ، لتصقل جوهر نفسه وتكشف عن حقيقتها في الكمال الإنساني ، فإبتلاه الحق تعالى في صحته فضلاً على ماله وولده ، وقد ورد ذكره في القرآن المجيد فقال تعالى: ((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)) (٥٨) ، والضُّر ((ما يمسُّ النفس من الضرر كالمرض والهزال ونحوهما)) (٥٩) ، وقد أبتليَّ النبي أيوب بمرض عضال في سائر بدنه أبقاه مطروحاً لسنين طويلة. ثم دعا الله فشكى إليه حاله ، فاستجاب له وشفاه.

وكان علاج النبي أيوب - عليه السلام - ينشطر على اتجاهين: الأول في الطب الإلهي المادي ، والثاني في الطب النفسي الروحي ، ففي الجانب الأول عالج الله تعالى نبيه عن طريق الماء الذي جعل منه كل شيء حيا ، فأوحى إليه تعالى بقوله : ((ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ)) (٦٠) . فبعد أن أشفى الله تعالى ما في رجليه من ضر ، أمره أن يقوم من مقامه ، ويضرب الأرض برجله ، ففعل وانفجرت له عيناً فأغتسل منها ، وضرب الأرض مرة أخرى فنفجرت عيناً أخرى فشرب منها وذهب ما في جسده من الأذى وما في باطنه من السوء وتكاملت العافية للنبي أيوب - عليه السلام - في ظاهره وباطنه. (٦١)

ومن المفيد أن أذكر أن الماء كان له أثر كبير في الطبابة الدينية في معتقدات العراقيين القدامى أيام سلالة أور الثالثة سنة ٢٠٥٠ قبل الميلاد ، فهو ماء الحياة الذي يطهر المرضى من الخبائث وينجيهم من الأمراض .(٦٢)

أما الاتجاه الثاني الذي عالج النبي أيوب نفسه متسلياً بالصبر المستقاة من عقيدته السليمة ، ويقينه الصحيح

بإنفراج مصابه حتى أضرب به المثل في صبره ، قال تعالى: ((... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)) (٦٣)
فقد أناب النبي أيوب وثبت وتواضع واستكان وشكر على تكليف الله تعالى له بهذا المصاب الجلل ، وكان صبره مقاومة للنائبة بالثبات والاستقامة والاتصال بالله تعالى ، والإقبال عليه ، والالتجاء إليه ، الذي قوى فيه روح الإيمان ، فلا يختل في داخله النظام العبودي ، ولا تتلاشى مشاعره وهو يتوكل على ربه راجياً أن يدفع عنه المرض ويصلح بدنه ، فكان صبره كنز من كنوز إيمانه الذي يتوقع فيه الفرج ، وبهذا العلاج النفسي أثنى الله تعالى عليه ومدحه ، ليعلم ذوي العقول أن ما فعله الله تعالى ليس لهوى على عباده ، وإنما لحكمة بالغة ، فليتأسوا في الصبر على مقدورات الله تعالى وابتلائه لعباده بما يشاء ، وليعلموا أن العاقبة الفرج والراحة والجزاء الحسن.

ومن الأنبياء الذين أنزل الله عليه تعليمات ووصايا وإرشادات ونصائح لها وشيجة كبيرة بالطب والصحة العامة كليم الله وخليله النبي موسى - عليه السلام- ولد موسى بن عمران بن قهث بن لاوي بن يعقوب بن إبراهيم بمصر في زمن فرعون ، وهو الوليد بن مصعب ، وبنو إسرائيل يومئذ بمصر قد أقاموا من زمان يوسف في الرّق والعبودية.
وقد تكهنَّ سحرة فرعون بولادة مولود في بني إسرائيل يكون فيه فساد ملك فرعون وهلاكه ، فأمر فرعون بقتل كل مولود يولد في بني إسرائيل ، فلما ولدت أم موسى أوحى الله لها أن تعمل تابوتاً وتضعه فيه ، وتطرحه في النيل ليلاً ، ففعلت ذلك وضربت الريح التابوت ، فطرحته إلى الساحل ، فرأته امرأة فرعون ، فلما فتحت التابوت رأت موسى فوقع عليه منها محبة ، فطلبت من فرعون أن يتخذاه ولداً لهما ، وهكذا تربى وترعرع في حجر فرعون حتى أصبح نبياً مرسلاً إليه وإلى قومه ، وأوحى الله لموسى أن يكتب العشر الآيات التي فيها وصايا الله ، وكانت حياة موسى - عليه السلام- مائة وعشرين سنة. (٦٤)
ولقد حظيت التعاليم الربانية المنزلة على النبي موسى - عليه السلام- بالجانب الطبي والصحي على السواء فذكر ((قوم من اليهود: إن الله عز وجل أنزل على موسى - عليه السلام- سفر الأشفية)) (٦٥) ، وذلك لأن الطب له علاقة وثيقة بميلاد الإنسان وحياته وفنائه ، وما يتصل بالنفس والروح والجسد ، وتطور الجنس البشري إلى غير ذلك ، وما ورد من تعاليم طبية في التوراة لا يمكن الاجحاد بها ويوجد ما يوازيها في التعاليم الإسلامية ، وفي نظرة تأملية حيادية يمكن أن نعقد موازنة بين التعاليم الطبية المنزلة على موسى في التوراة والتعاليم الطبية المنزلة على النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في القرآن المجيد ، بوصفهما دستوريين سماويين لنفع البشرية في الدنيا والآخرة ، ولا نقصد من عقد هذه الموازنة دراسة العلوم الطبية ، وإنما القصد منها النظرة إلى الطب عند الأنبياء بوصفها تعاليماً إلهية ، وأن الطب مؤيد من الله تعالى لأنبيائه ، ومن هذه التعاليم والإرشادات الطبية ، الغسل والطهارة قبل أداء الشعائر العبادية ، فعندما خاطب الله تعالى كليمه موسى - عليه السلام- أمره أن يضع حوضاً للاغتسال ، ويملاءه بالماء ؛ ليغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم قبل دخولهم لخدمة خيمة الاجتماع ، أو عند قربانهم للمذبح فقال تعالى: ((ليغسلوا أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا. فتكون هذه فريضة أبدية لهارون ونسله جيلاً بعد جيل)) (٦٦) ، وهذا أصل فريضة الوضوء قبل الصلاة في الإسلام ، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ...)). (٦٧)
ومن المفيد أن أومأ إلى أنَّ الغسل يسمى تطهيراً مثلما يسمى غسل أوساخ البدن بالماء تنظيفاً ، فللغسل حكمة بالغة تتحقق فيه أهم الفوائد الصحية للوقاية من الأمراض والمداومة على النظافة وتكرارها قبل أداء الفرائض العبادية اليومية ، تجعل المرء يعاود نشاطه وتستقيم صحته بعدما عفر التعب رائحة جسده في عمله اليومي.
ومن المحاذير الصحية التي حذرت منها الشريعة الإسرائيلية تحريم أكل لحم الحيوان الميت فورد في التوراة في وصايا الله لموسى وهارون - عليهما السلام - ((أوصيا بني إسرائيل ... إن مات حيوان لا يحل لكم أكله ، ولمس أحد جثته . فاللامس يكون نجساً حتى المساء ...)) (٦٨) ، ومن التعاليم الوقاية الصحية تحريم تناول الدم فجاء ما نصه: ((لا تأكلوا في جميع مساكنكم من دم الطير أو البهائم من يأكل شيئاً من الدم يباد من بين شعبه)). (٦٩) وورد في تحريم الحيوانات البرية المجترة أو المشقوقة الظلف ومنها الخنزير فجاء في نص وصايا بني إسرائيل: ((... والخنزير أيضاً نجس لكم لأنه مشقوق الظلف ولكنه غير مجتر. لا تأكلوا من لحمها ولا تلمسوا جثتها لأنها نجسة لكم)). (٧٠) فهذه الوصايا والتعاليم والمحاذير الواردة في الشريعة الإسرائيلية يقابلها ما ورد في الشريعة الإسلامية في قوله تعالى: ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ

وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ...)).(٧١)

ومما لاشك فيه أن الغذاء يحفظ بقاء الإنسان وله الخيار بما يتزود به ما لم يسبب له الضرر والتنفر ، فاما الضرر ، فقد يكون ضرر في بدنه يسمم جسمه ، وقد يكون ضرر معنوي مثل المحرمات التي سنتها شرائع الأديان. وأما التنفر، فهو استقذار تناول الأطعمة التي تمجها الطبيعة البشرية ، فالإنسان لا يأكلها مدفوعاً لاستقذارها ، ومن هذه الأطعمة التي يحصل فيها الضرر الجسمي والمعنوي ، التنفر من أكل لحم الميت ؛ لسببين. اما أن يكون الحيوان الميت قد أصيب بمرض معين فمات ، أو كبر وهرم فمات ، وفي الحالين كلايهما يحمل جسم الحيوان الميت مواد غير طبيعية وأخرى سامة تضر بصحة الإنسان حتى لو طهيت بطريقة جيدة ، فضلاً على أن أنسجة الحيوان الميت متحللة ، وأكل اللحم الميت يعني أكل أنسجة مريضة متحللة مضرة للإنسان.

ومما ورد في تشريع تحريم الدم ، ففيه إفرازات الجسم المعدة للبول والعرق ، وهي مواد سامة مضرة ، ولاسيما إذا كان الحيوان مريضاً يغدو شراب الدم أشد ضرراً على الإنسان.

وورد النهي عن أكل لحم الخنزير إلى أنه مصاب بطفيليات ونوع خطر من الديدان تسمى التركينا ، ويعد لحم الخنزير مصدراً جيداً لنقل الأمراض ومنها: التينيا سوليوم والبلانتيديوم وغيرهما.

ومن هذا كله جاء التشريع الإلهي في النهي عن أكل لحم الحيوان الميت والدم ولحم الخنزير وغير ذلك.

ومن التعاليم الطبية التي أمر الله تعالى بها هارون أخ موسى ووزيره تحريم شرب الخمر ليعلم بها شعب بني إسرائيل التي أمر بها الله على لسان النبي موسى ونصها: ((لا تشرب أنت وأبنائك خمراً مسكراً عند دخولكم لخدمتي في خيمة الاجتماع ، لئلا تموتوا ، وتكون هذه عليكم فريضة أبدية جيلاً بعد جيل ...)) ، (٧٢) وما يقابل هذا النهي المطلق في الشريعة الإسلامية في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). (٧٣)

وما يفيده هذا الحذر الصحي أن الخمر إذا تسربت إلى عقل المرء أصابه الخمول ، وفقد رشده وربما ارتكب أعمالاً مخلة بالأخلاق ، والإدمان على شرب الخمر مضرّ لأجهزة جسم الإنسان ومنها الجهاز الهضمي والعصبي والدموي ، فضلاً على ضررها المادي.

ومن النصوص التعليمات الطبية الواردة في التوراة تحريم معاشرة الرجل زوجته وهي حائض ، فورد ما نصه: ((لا تعاشر امرأة وهي في نجاسة حيضها)). (٧٤) وحرمت الشريعة الإسلامية التقرب إلى المرأة في مدة الحيض لما فيه ضرر صحي: جسمي ونفسي للمرأة والرجل على السواء ، فقال تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ...)). (٧٥)

ويبدو أن المرأة في مدة حيضها تتفتح الأوعية الدموية في رحمها مما قد يسبب لها نزيفاً من جراء تقطع الأوردة الداخلية أثناء مباشرتها ، وفي هذا الوقت يكون الرحم مهيأ لقبول العدوى والإلتهاب ، بيد أن الرجل يصاب بالتهاب من دم الحيض ؛ لأن فيه مادة سامة ومضر بذكر الرجل ، فإذا ما انتقل جزء من دم حيض المرأة إلى القناة البولية لذكر الرجل يحدث التهاباً ينتقل إلى البروستانا والمثانة والحالبين والكلى ومن هذا كله ورد هذا التحذير الصحي.

ومما تقدم يلحظ أن الوصايا والنصائح والارشادات والتعاليم الطبية المنزلة على كليم الله موسى - عليه السلام - أكثر من غيره من الأنبياء الذين ذكرناهم آنفاً ، فكان النبي موسى وسيلة لتطبيق شريعة السماء على شعب بني إسرائيل لتنظيم حياتهم الصحية على المستويين الجسمي والنفسي.

ومن أنبياء بني إسرائيل الذي أيده الله تعالى بمعجزة الطب من جنس ما اشتهر قومه به وبرعوا فيه وبلغوا شأواً وهو السيد المسيح عيسى بن مريم (٧٦) - عليه السلام - فأجرى الله تعالى على يده ما يعجز عنه الطب اليوم.

ولد السيد المسيح أيام ملوك الطوائف بعد ثلاث وستين وثلثمائة سنة من وقت غلبة الاسكندر على بابل ، (٧٧) وكان ميلاده آية باهرة تنطق بقدرة الله تعالى ومشيئته ، ليكون خلق الولد من الأنثى بغير الذكر ، أي أن يولد من أحد السببين من الأم من غير الأب على غير ما جرت عليه العادة آيةً للناس وبرهاناً على كمال قدرة الله تعالى على نحو ما ورد ذكر قصة ميلاد عيسى في القرآن المجيد وتكليم الناس له وهو في المهد ، (٧٨) وهي معاجز خالفت النواميس الطبيعية في خلق الإنسان.

ولد النبي عيسى - عليه السلام - في بيت لحم يهوذا بالشام أيام الملك هرودس ، وقد أخبر الكهان الملك عن ميلاد طفل في بيت لحم سيكون خطراً على ملكه ، فأمر الملك بقتل الأطفال المولودين ، وخشيت السيدة مريم - عليها السلام - على وليدها من أن يقتله الملك ، فذهبت

به مع ابن عمها إلى مصر فراراً ، وعندما مات الملك عادت إلى الشام ، ونزلوا بقرية يقال لها ناصرة ، وبها سميت النصارى. (٧٩)

ظهرت ارهاصات النبوة على السيد المسيح وهو صغير ، (٨٠) وكان حريصاً على المعرفة والعلم والحكمة والدين ، فكان ((يقرأ التوراة والكتب السالفة في مدينة طبرية من بلاد الأردن في كنيسة يقال لها المدارس)). (٨١) فاستقى العلم من موارده ، وارتوى من مناهله. واندمج في زمرة العلماء والحكماء وحاورهم وناقشهم وعندما بلغ الثلاثين من عمره بعث رسولاً إلى بني إسرائيل ، ((فأوحى الله إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله تعالى ، ويداوي المرضى والزمني والأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى .... وكان غالب على زمانه الطب فأتاهم بما أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى تعجيزاً لهم)). (٨٢) وقد أيد الله تعالى نبيه عيسى - عليه السلام - بهذه الآية في اشفائه للأمراض المستعصية ، وأنه كان يشكل من الطين على هيأة طائر ثم ينفخ فيه فيصير طائراً بإذن الله ، قال الحق: ((وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) ، (٨٣) وهذه الآية وغيرها (٨٤) تدل على أن الطب عند النبي عيسى - عليه السلام - معجزة وليست مهنة أو هواية أو ثقافة مكتسبة ، وإنما جارٍ لديه بطريقة التأييد من الله مع بيان المعجزة.

ولابد للنبي من إقامة المعجزة ، وذلك بأن يأتي بما يخرق نواميس الطبيعة ، ويعجز عنه غيره من البشر ، لتكون المعجزة شاهداً واضحاً على صدق دعوته ، وأمانته في التبليغ وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يخص كل نبي بمعجزة تشابه الصنعة المعروفة في زمانه ، فقد راج الطب اليوناني في عصر النبي عيسى - عليه السلام - وشاع في سوريا وفلسطين بوصفهما مستعمرتين لليونان ، وعندما بعث السيد المسيح كانت معجزته برهاناً جلياً يشبه الطب ؛ ليعلم أهل عصره أن هذا الأمر شيءٌ خارق للعادة ، وغير مرتبط بمبادئ الطب ، وأنه ناشئ من قوة غير طبيعية لقوانين الطبيعة المألوفة. فأشفى السقماء المصابين بأمراض مختلفة وأوجاع متباينة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين وغيرهم. (٨٥)

ومن الشواهد التي أشفى السيد المسيح المرضى الواردة في العهد الجديد ، منها مرض البرص: ((لما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً يا سيد إنْ أردت تقدر أن تطهرني ، فمد يسوع يده ولمسه قائلاً أريد ، فأطهر ، وللوقت طهر برَصهُ)) (٨٦) فلمسته المبشرة بالشفاء ، ودعاؤه أقوى المريض وأشفاه.

ومن العقائد المسلم بها أن الأرواح والشياطين كانت تحل في أجسام الآدميين ، وكان لابد من إخراجها بمعجزة في إمتلاك النبي عيسى - عليه السلام - روح قوية قابلة للتأثير في إخراجها ، فمما يذكر كان ((رجل به روح نجس فصرخ قائلاً آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري ، أتيت لتهلكنا ، أنا أعرفك من أنت قدوس الله ، فانتهره يسوع قائلاً اخرس واخرج منه ، فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم ، وخرج منه)). (٨٧)

فمما لا ريب فيه أن هذه الأرواح التي تحل في جسم الإنسان ((أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة مأمورون منهيون)) ، (٨٨) ولهذا كانت هذه الأرواح النجسة لا تخرج إلا بسلطان قوي من النبي عيسى - عليه السلام - يأمرها فتطيعه ، فكان وجوده يقوي الضعيف ويشفيه من مرض الجنون ، ويبعث القوة فيمن حوله ، فيذكر أن مريم المجدلية قد أخرج منها سبعة شياطين. (٨٩) فقد كانت تشكو من نوبات عصبية وكانت تخف حدتها بوجود النبي عيسى - عليه السلام -.

وصلاة النبي عيسى وصومه إحدى وسائل الشفاء للمريض ، ومبعثهما قوة عقلية تتجلى في نفاذ البصيرة وقوة الشعور وجدة الوصول إلى الغرض في شفاء المريض ، فيستجمع قوته وجده وحرصه للوصول إلى غرضه ببركة الله وقوته ، وهذا ما يثبت معجزته في الطب ـ فيذكر أن رجلاً قال له: ((يا معلم قد قدمت إليك ابني به روح أخرس وحيثما أدركه يمزقه فيزبد ويصر بأسنانه ويبسُ ، فقلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا ... فقال له يسوع إن كنت تستطيع أنْ تؤمن ، كل شيء مستطاع للمؤمن ، فللوقت صرخ أبو الولد بدموع وقال أومن يا سيد فأعن عدم إيماني ، فلما رأى يسوع الجمع يتراكضون أنتهر الروح النجس قائلاً أيها الروح الأخرس الأصم أنا آمرك ، اخرج منه و لا تدخله أيضا ، فصرخ وصرعه شديداً وخرج ... سأله تلاميذه على انفراد لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ، فقال لهم هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلوة والصوم)). (٩٠)

ويعزو النبي عيسى - عليه السلام - شفاء المرضى على يديه إلى ظاهرة نفسية لمن يشفيهم وهي قوة الإيمان به ، فقد ذكر أن امرأة كانت تنزف اثنتي عشرة سنة وقد عجز الطب عن إشفائها فلما ((سمعت بيسوع جاءت في الجمع من وراء ومست ثوبه ، لأنها قالت إن مسستُ

ولو ثيابهُ شُفيتُ ، فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت في جسمها أنها قد برئت من الداء ، فللوقت ألتفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسه ِ بالقوة التي خرجت منهُ ... فقال لها يا أبنةُ إيمانك قد شفاك)) ، (٩١) ويبدو أن معجزة النبي عيسى - عليه السلام - ليست ظاهرة طبيعية محضة ، وإنما كان يشعر أنه لا يأتي بهذه القدرة الاعجازية إلا بمعونة قوة روح قدسية فيه.

ويعدُّ النبي عيسى - عليه السلام - بعض الأمراض إلى خطايا بني الإنسان ، فكان يطوف في مدينته ليغفر خطاياهم ، ويهديهم سبيل الحق ((وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحاً على فراش ، فلما رأي يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثِقْ يا بنيّ ، مغفورة لك خطاياك ... لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا ، حينئذ قال للمفلوج قم أحمل فراشك واذهب إلى بيتك)). (٩٢)

فالأمراض التي أصابت بني الإنسان تكفير عن خطاياه ، وإلى هذا الأمر كان خروج النبي عيسى - عليه السلام - ونشر رسالته ، فقال مخاطباً الفرنسيين : ((لا يحتاج الاصحاح إلى طبيب بل المرضى فاذهبوا وتعلموا ما هو إني أريد رحمة لا ذبيحة ، لأني لم آت لأدعو إبراراً بل خطاة إلى التوبة)). (٩٣) وأعزى النبي عيسى - عليه السلام - الموت بمرض الخطيئة إلى عدم الإيمان به بأنه الرسول من الله تعالى فقال: ((إن لم تؤمنوا إني أنا هو تموتون في خطاياكم)).(٩٤)

ومما تقدم يتبين إن سيدنا عيسى - عليه السلام - لم يعمل في حقل الطب أو يحترفه بوصفه مهنة ، ولم يعالج الناس بالطريقة المهنية المعروفة فليس هناك مادة علاجية استعملها مثل الأعشاب والمواد الكيميائية أو الغذائية وما شابه ذلك ، وليس هناك نوع محدد من الأمراض عالجها ، وإنما عالج مختلف الأمراض مثل البرص والعمى والجنون وغيرها ، فقد كان يطوف المدن ويشفي المرضى جميعهم .(٩٥) ((وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً)) .(٩٦) وفي حالات الشفاء كلها كان الشفاء فوري من دون تأخير سالكاً سبيل اللمس والدعاء والصوم والإيحاء والنداء وغير ذلك. وكان يشفي المرضى الذين يؤمنون به ويعرفون منزلته ، ولذلك فهو لم يشفي إلا القلة في موطنه الناصرة لعدم إيمانهم به ((ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم ، وتعجب من عدم إيمانهم)) ، ((وقال الحق أقول لكم أنه ليس نبي مقبولاً في وطنه)) .(٩٨) ولم يثبت أنه تعلم الطب ودرسه من قبل أساتذة قبله ، بيد أنه علم تلاميذه وأعطاهم سلطاناً على إخراج الأرواح النجسة من المرضى.(٩٩)

والطب عند السيد المسيح معجزة مقصورة الأمد على زمانه ؛ ليشاهدها الناس ، فتقوم عليهم الحجة في الإيمان برسالته ، وصدق دعوته ، فالطب لديه معجزة إلهية وشاهد عيان على صدق نبوته.

وفي الوقت الذي بعث نبي الرحمة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كان الطب في الجزيرة العربية يكتنفه كثير من الدجل والشعوذة ، ويمارس على شكل تعاويذ ورقي وبعض المبادئ البسيطة ما خلا بعض المفاهيم الطبية وبعض المتطببين ، ومنهم الطبيب العربي المعروف الحارث بن كلدة ، وللإسلام فضل كبير على الطب لما في القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة من معلومات ومبادئ وتوجيهات نحو بناء حضارة جديدة ، وفي تحقيق هدفين من الأهداف التي وضعت المعرفة الطبية في مكانها المناسب والصحيح وهو الفصل التام بين الطب من جهة والسحر والكهانة من جهة أخرى ، وحث المسلمين على العناية بصحة أبدانهم وضرورة اللجوء إلى الأطباء عند الحاجة. (١٠٠)

وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهد ... بن إسماعيل بن إبراهيم - عليهم السلام - ، ولد رسول الله عام الفيل ، وتوفي أباه وهو في بطن أمه ، فتكفله جده عبد المطلب ، وتوفيت أمه وعمره ست سنين ، ولما بلغ ثماني سنين مات جده وتكفله عمه أبو طالب ، وقد بعث رسولاً رحمة للعالمين في الأربعين من عمره. (١٠١)

وكانت التعاليم الإسلامية التي جاء بها الرسول محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - من الله تعالى ترمي إلى تحقيق غايتين في آن واحد ، غاية صحية وغاية دينية ، فطبعت الواجبات الصحية بطابع الواجبات الدينية ، وهي تدعو إلى عدم الإسراف في الطعام والشراب وإلى النظافة والاغتسال والوضوء ، والأمر بتجريد المرضى المصابين بأمراض معدية إلى غير ذلك ، ويعد القرآن الكريم .(١٠٢) دستور المسلمين في الإرشاد الصحي في الأخذ بأوامره ، وترك ما ينهي عنه ، في الوقت الذي تعرض لبيان معلومات طبية في علوم: التشريح والفسلجة ، والوراثة والأجنة والأمراض النفسية والوقاية الصحية والعناية بالطفل والرضاعة الطبيعية وغيرها ، وقسمت الأمراض في القرآن الكريم إلى قسمين: أمراض عضوية وأمراض

نفسية ، ومن الأمثلة الواردة في الأمراض العضوية قوله تعالى في إباحة الإفطار أيام رمضان: ((... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ...)) ، (١٠٣) وذكر تعالى مرض الإنسان أي كان نوعه في بدنه في سياق تشريعي ، فيتعذر على المسلم الصوم حفظاً على صحته وقوته ؛ لعذر المرض ، أو لعذر السفر للشخص السليم الذي يتطلب منه الحركة وما توجبه من استهلاك الطاقة الغذائية التي يتخلف منها ضعف البدن ، فأباح تعالى الإفطار للمريض والمسافر على السواء حفظاً على الصحة من أن يصيبهما الأذى.

ومن الأمراض النفسية مرض القلب ، ومنه شهوة الزنا ، فمما ورد في سياق مخاطبة الله تعالى أزواج النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في معرض النهي قوله تعالى: ((يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا)) ، (١٠٤) فأوعز الله تعالى اللين في قول النساء ، والرقة في أصواتهن سبباً لمفسدة نفسية عظيمة للرجال لمن مرضت قلوبهم ؛ لضعفها وقلة إيمانها ، فطمعوا في الشهوة والفجور والفسوق ، وعالج الخطاب القرآني هذه الحال بالردع بنهي النساء بأن لا يقلن قولاً ليناً فيجد الفاجر المريض القلب سبيلاً لنفسه ، وليقلن قولاً حسناً ينأى عن الخضوع والتلطف للرجال حفاظاً على كرامتهن وعزتهن وشرفهن.

ومن التوجيهات الصحية التي أكد عليها التعبير القرآني الرضاعة الطبيعية ، فحليب الأم له أهمية عظيمة وأثر كبير في جسم الطفل وصحته وتنشأته ونموه ، وصفاته النفسية والعقلية على السواء ، قال تعالى: ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...)) ،(١٠٥) والوالدة مكلفة بالأمر الاستحباب أن ترضع وليدها حولين كاملين ، (١٠٦) ليصبح قوياً في تحمل أي مضعفات ، وللرضاعة فوائد صحية تعود على الأم بالنفع أيضاً ، فالرضاعة من ثديها تساعد على انكماش عضلات الرحم ، وإعادة الرحم إلى حجمه الطبيعي بعد أن أجهد في عملية الوضع ، وإن الانقباضات التي تحصل أثناء عملية الرضاعة توقف نزف الأوردة التي تفتحت بإنفصام المشيمة والأغشية الجنينية المختلفة ، وتسبب الرضاعة انقطاع الدورة الشهرية لإراحة الأعضاء التناسلية ، ومنع احتقان الرحم.

وعلم الأجنة من العلوم الحديثة ، وقد كشفت حقائق تكوين الجنين وتصوير أشكاله عن طريق المجهر والأشعة التي قررته الآيات الكريمة قبل ١٤٣٠ سنة ، فقال تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) ، (١٠٧) وفسّر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هذه الآيات بما ينسجم باكتشاف الأطباء اليوم ، فعندما سأله خزيمة بن الحكيم عن قرار ماء الرجل والمرأة ، وما يشرب المولود قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ؛ ((أما قرار ماء الرجل فإنه يخرج ماؤه من الاحليل وهو عرق يجري من ظهره حتى يستقر قراره في البيضة اليسرى ، وأما ماء المرأة فإن ماءها في التربية يتقلقل لا يزال يدنو حتى يذوق عسيلتها ... وأما شراب المولود في بطن أمه فإنه يكون نطفة أربعين ليلة ثم علقة أربعين ليلة ومشيحاً أربعين ليلة وعميساً أربعين ثم مضغة أربعين ليلة ثم العظم حنيكاً أربعين ليلة ثم جنيناً فعند ذلك يستهل وينفخ فيه الروح وتجتلب عليه عروق الرحم)) ، (١٠٨) ويتبين من تفسير الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه لا ينطق عن الهوى ، وإنما هو وحي يوحى ، فخلق الإنسان من عناصر التراب المتباينة ثم خلق بطريقة التناسل من حيوان منوي داخل سائل متدفق فيقوم بعملية تلقيح بويضة الأنثى ، فتتكون العلقة التي تنمو فتتعلق بجدار الرحم ، وهي أشبه بقطعة الدم المتخثرة ، ثم تنمو حتى تصبح بحجم المضغة ، ثم تتكون العظام والعضلات ، ويكسو العظام اللحم ، فينشأ خلقاً جديداً قد أحسن الله تعالى في إبداعه وتصويره.

وفي نظرة فاحصة في كتب الحديث والطب النبوي يتبين أن النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يحث على المداواة ، وانتقاء أحذق الأطباء ، وإلقاء المسؤولية على الطبيب غير العارف بمهنته ، فهو ضامن للأضرار التي تلحق بالمريض. (١٠٩) والدعوة إلى العناية بالغذاء بوصفه أحد وسائل الشفاء ، ومنه العسل والتلبية وحبة البركة ، فقد ورد في الحديث ((عليكم بهذه الحبَّةِ السَّوداءِ ، فإنَّ فيها شِفاءً من كُلِّ داءٍ إلا السَّامُ)).(١١٠) وأكد على الحمية ، (١١١) لأن كثرة الغذاء غير الموافق لطبيعة الجسم يؤدي إلى حصول الضرر فيه ، وحث على المداواة والمعالجة بالحجامة والفصد ومعالجة المسموم والملسوع والمجدور ، ومحاربة الطيرة والعيافة والسحر والتنجيم إلى آخره. (١١٢)

وفي ذلك كله شجع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على مزاولة مهنة الطب والحث على الدواء لعلاج الأمراض ، فقال: ((ما أنزلَ اللهُ داءً إلا أنزلَ له شِفاءً)) ، (١١٣) وما

الطبيب إلا مرشد إلى الدواء الشافي للمرض الذي أصيب الإنسان به.

وأومأ النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في إرشاداته وتعليماته ونصائحه الصحية والطبية إلى العناية بصحة الإنسان والوقاية من الوباء فقال مخاطباً سعداً : ((إذا سَمِعتُم بالطَّاعُونِ بأرضٍ فلا تَدْخُلُوها وإذا وَقَعَ بأرض وأنتُمْ بها فلا تَخْرجُوا مِنْها)). (١١٤) فقد علم رسول الله أن الطاعون مرض ينتقل بالعدوى من شخص إلى آخر ، ففرض بما يسمى اليوم بالحجر الصحي ، وهو يعدّ قانوناً دولياً لا يجوز انتقال المريض من أرض فيها وباء إلى دولة أخرى خالية منه.

ومن معالجاته ما ورد في حديث الحمى العرضية التي يكون مبعثها شدة حرارة الشمس ، فلا يطفئ حرارتها إلا الماء البارد ، فقال : ((الحُمَّى من فيح ِ جَهَنَّم فأبردُوها بالماءِ)). (١١٥) وقوله: ((الحمى من فيح جهنم)) ، مجاز يراد به المبالغة في وصف حرارتها وشدة اضطرامها في جسم الإنسان مشبهاً إياها بسطوح الحر وفورانه بفيح جهنم ، وتعالج هذه الحمى عن طريق وضع كمادات باردة ؛ لغرض خفض درجة الحرارة ، وسقي المريض الماء؛ لتعويض ما فقد من سوائل.

وأجاز النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - الرقي بالقرآن الكريم والمعوذات والدعاء ، وهو نوع من المعالجة النفسية على سبيل الايحاء في بعث الاطمئنان النفسي والراحة والاستقرار والأمان للمريض ، فمتى ما أصاب المريض المؤمن نوع من الضيق والقلق والخوف والمرض ، هرع إلى القرآن الكريم فقرأ ما تيسر له من آياته ، وصلى ودعا ربه فتستقر نفسه المؤمنة ، وهذا الطب النفسي كان يفعله رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عند مرضه ، فعن ((عائشة - رضي الله عنها - أن النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات)). (١١٦)

ومما تقدم يتبين أن النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يدعو إلى ما يعرف اليوم بالطب التكميلي في معالجة المريض بوساطة الطبيب عن طريق الأغذية والأدوية والقرآن وهذه العناصر مجتمعه تعود على المريض بالشفاء بإذن الله.

النتائج

يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلنا إليها بما يأتي:

الطب عند الأنبياء مرشد إلى صحة جسم الإنسان ونفسه وعقله - وفي أكثر الأحايين - له وشيجة بشريعة النبي المبعوث لصلاح الدنيا والآخرة ، ولاسيما عند الأنبياء: إبراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام-

ولذلك ارتبط الطب عند الأنبياء بالدين فكانت معرفة الطب عندهم صادرة عن الوحي الذي يوحيه الله إلى أنبيائه ، فما يأتون به يعجز عنه أكابر الأطباء لأنه خارج عن علومهم وتجاربهم ومقاييسهم ، ولا يتحقق الشفاء إلا بالإيمان على وفق قانون الحكمة الإلهية ، فعند اتصال الروح بخالقها ، تعلو على دفع المرض وقهره.

فالقوة المؤيدة بالوحي من عند الله والعلوم التي رزقها الله الأنبياء - ولاسيما علم الطب- مداراة معرفة الله وأمره وخلقه ، وذلك مسلم إلى الأنبياء - صلوات الله عليهم- فهم أعلم الناس بالله وأمره وخلقه.

وبهذا كله جاء علاج الأنبياء على شكل كرامات أو معجزات ، فالطب لم يكن عندهم اكتساب ، وإنما الهام- ولهذا فهو طب يقين قطعي.

لم يثبت أن الأنبياء مارسوا الطب بوصفه مهنة ، ما خلا النبي إدريس والنبي اليوناني اسقليبيوس ، ولم يؤثر أن الأنبياء أخذوا أجراً عما قدموا في مجال الطب.

التعاليم الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة الشريفة إنما هي سفر عظيم لخدمة الإنسان والمجتمع في البناء الأخلاقي والصحي على السواء ، فكانت الشريعة الإسلامية ومفاهيمها التعليمية أكثر عناية بصحة الإنسان من غيرها من الأديان التي سبقتها في حقل الطب.

الهوامش

مقاييس اللغة - ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم - طهران ، ١١٠٤هـ ، ج٣ ، ص ٤٠٧. ((طب))

المنصوري في الطب - الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، ت ٣٠٣ هـ) ، تحقيق وشرح : الدكتور حازم البكري الصديقي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧م ، ص٢٩.

لسان العرب- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ، ت ٧١١هـ) ، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي ، دار أحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط٣ ، بيروت - لبنان (د.ت) ، ج٨ ، ص١١٤ (طب).

تاريخ أبن خلدون (المقدمة) - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الخضرى المغربى ، ت ٨٠٨هـ) ، مؤسسة جمال

للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ج١، ص٤١١.

ينظر ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء - ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي ، ت ٦٦٨هـ)، ضبط وتصحيح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، ١٤١٩- ١٩٩٨، ص٣٦.

مقاييس اللغة : ٥/ ٣٨٥ (نبأ)

لسان العرب : ٩/١٤ (نبأ) وهناك فرق بين دلالتي : الرسول والنبي فالرسول ((أخص من النبي ، لأنه كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً)) المصدر نفسه : ١٤/ ٩ (نبأ) ، والنبي ((هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبدها بها في نفسه فان بعثه الله إلى خلق غيره كان رسولاً)) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس - الديار البكري (حسين بن محمد بن الحسن ، ت ٩٦٦هـ) ، مؤسسة شعبان ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، (د.ت) ، ج١ ، ص٧.

أنبياء السريان أربعة ، وهم آدم وشيث وأخنوخ (وهو إدريس) ونوح ، ينظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : ١/٧ وفي سنين عصر آدم اختلاف ، ينظر العهد القديم (التوراة) ، ط٦ ، مصر ، ١٩٩٥ ، سفر التكوين الاصحاح (٥) ، الكامل في التاريخ - ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) ، تعليق: نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ، ج١ / ص٣٠.

ينظر: المعارف - ابن قتيبه (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢١٣) ، تحقيق: ثروة عكاشه ، دار الكتب ، مصر ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م ، ص ٢٠ ، مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، ت ٣٤٦ هـ) ، شرحه: الدكتور مفيد محمد قميحه ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (د.ت) ، ج١ ، ص ٣٢ - ٣٤.

ينظر: الكامل في التاريخ : ١/٣١ - ٣٢.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ١٤.

تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، ت ٢٩٢ هـ) ، تعليق: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م ، ج١ / ص١١ - ١٣.

ينظر قصص الأنبياء المسمى بالعرائس - الثعالبي (ابن إسحاق أحمد بن إبراهيم ، ت ٤٢٩ هـ) ، مصر ، (د. ت) ، ص ٢٩.

مريم / ٥٦ - ٥٧.

ينظر العهد القديم - سفر التكوين ، الاصحاح (٥).

ومن أنبيائهم ، أوراني وعابيديمون ، ينظر: تاريخ اليعقوبي: ١٢٨/١.

الكامل في التاريخ : ٣٤/١ وهرمس لقب مثل قيصر وكسرى ، ينظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٢٤ ، وفي اللغة ((اسم علم سرياني)) ، لسان العرب : (هرمس) ٨٢/١٥.

والهوامسة ثلاثة:

الأول: النبي إدريس - عليه السلام - ومسكنه صعيد مصر وكان قبل الطوفان. والثاني: وهو من أهل بابل الكلدانيين ، عاش بعد الطوفان ، وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش وكان بارعاً في علم الطب والفلسفة وتلميذ فيثاغورس ، وقد جدد في علم الطب وعلم العدد ما كان قد درس بالطوفان ببابل. والثالث: من سكان بلاد الشام ، عاش بعد الطوفان ، وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم وكان فيلسوفاً وطبيباً وعالماً بطبائع الأدوية وله باع في صناعة الكيمياء. ينظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٢٤ -٢٥.

ينظر الكامل في التاريخ :٣٤/١.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٢٤.

المصدر نفسه :٢٤.

المصدر نفسه: ٢٤.

طبقات الأطباء - ابن جلجل ، (د . ت) ، ص٦.

- أخبار العلماء بأخبار الحكماء - القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي ، ت ٦٤٦ هـ) ، دار الكتب ، مصر ، ١٣٢٦ هـ - ص٢.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ٢٤.

ينظر المصدر نفسه: ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥.

المصدر نفسه :٢٥.

المصدر نفسه :٢٣.

المصدر نفسه :٢٢ - ٢٣.

المصدر نفسه :٣٥.

ينظر تاريخ اليعقوبي: ١٢٣/١ ، اختلفت الروايات في اسمه فذكر اسمه عياش ، أو اسكندر ، أو مرزيا بن مرزبه اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح ، أو مصعب بن عبد الله من قحطان ، أو غير ذلك ينظر الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي (محمد حسين) ، ط٢ ، دار الكتب الإسلامية - طهران ، ١٣٨٥ هـ . ش ، ج١٣ / ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

إن جميع السنين من آدم إلى ظهور الاسكندر ذي القرنين خمسة ألف ومائة وثمانون سنة وعشر أشهر على موجب

التاريخ عند اليونانيين ، ينظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
ينظر الكامل في التاريخ :١٦٦/١.
الكهف/ ٨٣.
ينظر تاريخ اليعقوبي : ١٢٣/١ تفسير بن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤ هـ) مطابع ماتيوكرومو ، مدريد - اسبانيا ، دار الأندلس ، بيروت - لبنان ، ج٤ / ص ٤١٨ - ٤١٩ ، الكامل في التاريخ: ١٦٠/١ - ١٦٢ ، الميزان في تفسير القرآن: ٣٩٩/١٣ - ٤٠٠ ، الاختلاف في تسمية ذي القرنين.
ينظر الكهف / ٩٣ - ٩٩.
ينظر الكامل في التاريخ: ١٦٢/١ ، تفسير بن كثير :٤١٨/٤.
ينظر العرب والطب - الدكتور أحمد شوكت الشطي ، وزارة الثقافة ، دمشق / ١٩٧٠ ، ص ١٨ - ١٩.
ينظر الكامل في التاريخ: ٤٧/١.
ينظر تاريخ الطب العراقي - عبد الحميد العلوجي ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ، ص ٥-٦ ، ومن الطريف كان لهذه الإله رمز مقدس يتمثل في عصا حولها حية أو حيتان ، ويشير هذا الرمز إلى الحياة الدائمة ؛ لأنها لا تموت ، وإنما تخلع جلدها كل عام ، فيعود إليها الشباب. ينظر المصدر نفسه:١٢.
ينظر العرب والطب: ١٢ -١٣.
ينظر المصدر نفسه:٢٢.
المعارف: ٣٠ -٣٣ ، استحد: حلق عانته ، استنثر : استنشق الماء ثم استخرج ذلك بالأنف نفسه . ينظر الكامل في التاريخ: ٦٥/١ ، ١٧١.
العهد القديم - سفر التكوين ، الاصحاح (١٧).
المصدر نفسه - سفر التكوين ، الاصحاح (١٧).
المصدر نفسه - سفر التكوين ، الاصحاح (١٧).
ينظر تاريخ اليعقوبي: ٢٧/١ ، ٢٩ ، الكامل في التاريخ : ٧١/١ - ٧٢.
ينظر سورة يوسف.
ينظر تفسير ابن كثير: ١٠/٤.
يوسف ٤ - ٥.
ينظر الميزان في تفسير القرآن:١١/ ٨٣ - ٨٤.
ينظر تفسير ابن كثير: ١٠/٤.
يوسف/ ٦.
يوسف / ١١ - ١٣.
يوسف / ١٧.
يوسف / ١٨.
ينظر الميزان في تفسير القرآن: ١١١/١١ - ١١٤.
يوسف ٩٣ - ٩٤.
ينظر تاريخ اليعقوبي: ٣٠/١ - ٣١.
ينظر الكامل في التاريخ : ٧٣/١ ، ٧٨.
الأنبياء / ٨٣ - ٨٤. وينظر ص ٤١.
الميزان في تفسير القرآن: ٣٤٤/١٤.
ص/٤٢.
ينظر تفسير ابن كثير: ٦٧/٦.
تاريخ الطب العراقي:٦.
ص/٤٤ ـ أوّاب: ((أي رجاع منيب)) تفسير ابن كثير : ٦٩/٦.
ينظر: العهد القديم - سفر الخروج ، الاصحاح ١ -٢ ، تاريخ اليعقوبي: ٣١/١ - ٤٢ ، قصة النبي موسى - عليه السلام - مع الوصايا العشر.
عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ١٤ ، لم نعثر على سفر الأشفية في التوراة ، بيد أننا لا نعدم من أن نجد في سفر اللاويين يحفل بتعاليم وإرشادات ووصايا طبية ينظر العهد القديم - سفر اللاويين ، الاصحاح : ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥.
العهد القديم - سفر الخروج ، الاصحاح ٣٠.
المائدة /٦.
العهد القديم - سفر اللاويين ، الاصحاح ١١.
المصدر نفسه - سفر اللاوين ، الاصحاح ٧.
المصدر نفسه - سفر اللاويين ، الاصحاح ١١.
المائدة / ٣.
العهد القديم - سفر اللاويين ، الاصحاح ١٠ ، ما ورد في النص يخالف السفارة الإلهية في وصف النبي هارون وزير موسى - عليهما السلام - وأخيه ، فيحتمل أن النص فيه شيء من الوضع ، بيد أننا سقناه في بيان تحريم الخمر وضررها الصحي في الشريعة الإسرائيلية التي بينتها التوراة.
المائدة / ٩٠ وينظر البقرة/٢١٩ ، النساء/ ٤٣، المائدة / ٩١ ، التدرج في حكم ترك الخمر.
العهد القديم - سفر اللاويين ، الاصحاح: ١٨.
البقرة / ٢٢٢.
((المسيح لقب لعيسى ومعناه الصديق)) الجامع لأحكام القرآن ، المعروف باسم تفسير القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٦٧١ هـ)) ، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني ، ط١ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ ، ج٤ / ص٨٩. واصل عيسى بالعبرية مسيحاً معناه: المبارك وعيسى معرب يسوع ، ينظر تفسير البيضاوي (ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي ت ٧٩١هـ) ، تحقيق:

عبد القادر عرفات ، والعشا حسونه ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م ، ص ٣٩.

ينظر الكامل في التاريخ: ١٧٥/١.

ينظر تمثيلاً لا حصراً سورة آل عمران: ٤٥ - ٤٧ ، الجامع لأحكام القرآن: ٨٩/٤- ٩٤ ، تفسير البيضاوي: ٣٩/١ - ٤١.

وينظر سورة مريم : ١٦ - ٣٣ ، جامع البيان في تأويل القرآن ، المعروف باسم تفسير الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠ هـ) ، ضبط وتخريج: محمد حميد الله وآخرون ، دمشق ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م (ج٨ ، ص ٣١٩ - ٣٤٠) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الآلوسي (أبو الفضل محمود ، ت ١٢٧٠ هـ) ، تحقيق: محمد السيد الجليند ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، (ج ١٦ / ص ٧٤ -٩٠).

وينظر سورة الأنبياء / ٩١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، المعروف باسم تفسير الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، ت ١٦١ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت (د. ت) ، (ج٣ / ص٦٤) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علوم التفسير - الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ، ت ١٢٥٠ هـ)، ط٢ ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م ، (ج٣ / ص ٦٠٨) . قصة النبي عيسى ومعجزة ولادته.

ينظر العهد الجديد - الأنجيل - أنجيل متى ، الاصحاح (٢) ، المعارف:٥٣.

ينظر الكامل في التاريخ: ١٧٨/١ - ١٧٩.

مروج الذهب ومعادن الجوهر:٦٠/١.

الكامل في التاريخ: ١٧٩/١ - ١٨٠.

آل عمران /٤٩.

المائدة/١١٠.

ينظر العهد الجديد - انجيل متى - الاصحاح ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢١ ، انجيل مرقُس ، الاصحاح ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، انجيل لوقا ، الاصحاح ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٨ ، انجيل يوحنا ، الاصحاح ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١.

المصدر نفسه - انجيل متى / الاصحاح (٨).

المصدر نفسه - انجيل مرقُس ، الاصحاح (١) وينظر الاصحاح ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٩.

غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة - الشبلي (بدر الدين عبد الله ، ت ٧٦٩ هـ) ، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل ، مطبعة ديانا ، العراق ، ١٩٨٨م، ص٢١.

ينظر العهد الجديد - انجيل لوقا ، الاصحاح (٨).

المصدر نفسه - انجيل مرقس ، الاصحاح (٩).

المصدر نفسه - انجيل مرقس الاصحاح (٥).

المصدر نفسه - انجيل متى ، الاصحاح (٩) ، ينظر انجيل لوقا ، الاصحاح (٥).

المصدر نفسه - انجيل متى ، الاصحاح (٩) ، ينظر انجيل لوقا ، الاصحاح (٥).

المصدر نفسه - انجيل يوحنا ، الاصحاح (٨) .

المصدر نفسه - انجيل متى ، الاصحاح (٩)

المصدر نفسه - انجيل متى ، الاصحاح (١٢) ، ينظر الاصحاح (١٤) ، انجيل مرقس الاصحاح (١).

المصدر نفسه - انجيل مرقس ، الاصحاح (٦) .

المصدر نفسه - ينظر انجيل لوقا ، الاصحاح (٤).

المصدر نفسه - انجيل متى ، الاصحاح (١٠) ، ينظر انجيل مرقس ، الاصحاح (٦).

ينظر الطب والصيدلة عند العرب - الدكتور ياسين خليل ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - جامعة بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٣ -١٤.

ينظر السيرة النبوية - ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، ت ٢١٣ هـ) ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ، المكتبة العلمية - بيروت - لبنان ، ج١ ، ص ١ -٢ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٩.

ينظر البقرة: ٣٣ ، ١٧٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٢، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، النساء: ٤٣ ، ١٠٢ ، المائدة/ ٦ ، ٥٢ ، الأنفال/ ٤٩ ، التوبة / ٩١ ، ١٢٥ ، الحج/ ٥ ، ٣٥ ، المؤمنون/ ١٢-١٤ ، النور/ ٥٠ ، ٦١ ، الأحزاب/ ١٢ ، ٣٢ ، ٦٠ ، محمد/ ٢٠ ، ٢٩ ، الفتح/ ١٧ ، المزمل/٢٠ ، المدثر/ ٣١.

البقرة /١٨٤.

الأحزاب/٣٢.

البقرة/٢٣٣.

ينظر معالم التنزيل - البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود ، ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون ، ط٤ ، دار طيبة ، مجمع الملك فهد للطباعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م ، (ج١ / ص٢٧٦).

المؤمنون/ ١٢ -١٤.

كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف باسم الخصائص الكبرى - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ، ت ٩١١ هـ) ط٢ ، المنير ، بغداد ، ١٩٨٤ ج١ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨) ، مشيحاً أي مختلطاً من اللحم والعظم والدم ، حنيكاً أي صلداً.

الطب النبوي - ابن قيم الجوزي (شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، ت ٧٥١ هـ) تعليق: عبد الغني عبد الخالق وآخرون ، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ت) ، ص ١٠٥ - ١١٥.

سُنن الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار وآخرون ، دار الفكر ، لبنان - بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (ج٤ ، ص٦) تسلسل الحديث ٢٠٤٨ ، وينظر ص٥ ، تسلسل الحديث ٢٠٤٦ ، ص ٢٣ ، تسلسل الحديث ٢٠٨٩ ، السَّام : الموت.

الطب النبوي: ٨١ - ٨٤.

ينظر صحيح البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردربه ، ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار ، دار الفكر ، لبنان - بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م ، (ج٤/ ص ١٣ - ٢٦) من تسلسل الحديث ٥٦٧٨ - ٥٧٨٢.

المصدر نفسه: ١٣/٤ ، تسلسل الحديث ٥٦٧٨ ، وينظر سنن الترمذي : ٤/٤ ، تسلسل الحديث ٢٠٤٥.

صحيح البخاري: ٢٣/٤ ، تسلسل الحديث: ٥٧٢٨.

المصدر نفسه: ٢٣/٤ ، تسلسل الحديث: ٥٧٢٥.

المصدر نفسه: ٢٥/٤ ، تسلسل الحديث: ٥٧٣٥.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أخبار العلماء بأخبار الحكماء - القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي ت ٦٤٦ هـ) ، دار الكتب ، مصر ، ١٣٢٦ هـ .

تاريخ ابن خلدون (المقدمة) - ابن خلون (عبد الرحمن بن محمد الخضري المغربي، ت ٨٠٨ هـ) ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس - الديار البكري (حسين بن محمد بن الحسن ، ت ٩٦٦هـ) ، مؤسسة شعبان ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، (د.ت).

تاريخ الطب العراقي - عبد الحميد العلوجي ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، ت ٢٩٢ هـ) ، تعليق: خليل المنصور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م

تفسير البيضاوي (ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي ، ت ٧٩١هـ) ، تحقيق: عبد القادر عرفات وآخرون ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

تفسير بن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ت ٧٧٤ هـ) مطابع ماتيوكرومو ، مدريد - اسبانيا ، دار الأندلس ، بيروت - لبنان ، (د . ت).

جامع البيان في تأويل القرآن ، المعروف باسم تفسير الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠ هـ) ، ضبط وتخريج: محمد حميد الله وآخرون ، دمشق ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

الجامع لأحكام القرآن ، المعروف باسم تفسير القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، ت ٦٧١ هـ)) ، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني ، ط١ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ .

الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، المعروف باسم تفسير الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، ت ١٦١ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت (د. ت).

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الآلوسي (أبو الفضل محمود ، ت ١٢٧٠ هـ) ، تحقيق: محمد السيد الجليند ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .

سُنن الترمذي - الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار وآخرون ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١ - ٢٠٠١م.
السيرة النبوية - ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، ت ٢١٣ هـ) ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ، المكتبة العلمية - بيروت - لبنان ، (د.ت).
صحيح البخاري - البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن برد ربه ، ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار ، دار الفكر ، لبنان - بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
طبقات الأطباء - ابن جلجل - (د. ت).
الطب النبوي - ابن قيم الجوزي (شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، ت ٧٥١ هـ) تعليق: عبد الغني عبد الخالق وآخرون ، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ت).
الطب والصيدلة عند العرب - الدكتور ياسين خليل ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - جامعة بغداد ، ١٩٧٩م.
العرب والطب - الدكتور أحمد شوكت الشطي ، وزارة الثقافة ، دمشق / ١٩٧٠م.
العهد الجديد - الأنجيل ، ١٩٧٧.
العهد القديم - التوراة ، ط٦ ، مصر ، ١٩٩٥م.
عيون الأنباء في طبقات الأطباء - ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي ، ت ٦٦٨ هـ) ضبط وتصحيح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة - الشبلي (بدر الدين عبد الله ، ت ٧٦٩ هـ) ، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل ، مطبعة ديانا ، العراق ، ١٩٨٨م.
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علوم التفسير - الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ، ت ١٢٥٠ هـ)، ط٢ ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
قصص الأنبياء المسمى بالعرائس - الثعالبي (ابن إسحاق أحمد بن إبراهيم ، ت ٤٢٩ هـ) ، مصر ، (د. ت).
الكامل في التاريخ - ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، ت ٦٣٠ هـ) ، تعليق: نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف باسم الخصائص الكبرى - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ، ت ٩١١ هـ) ط٢ ، المنير ، بغداد ، ١٩٨٤م.
لسان العرب- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ، ت ٧١١هـ) ، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب وآخرون ، دار أحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط٣ ، بيروت - لبنان (د.ت).
مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦ هـ) ، شرحه: الدكتور مفيد محمد قميحه ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (د.ت).
المعارف - ابن قتيبه (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢١٣) ، تحقيق: ثروة عكاشه ، دار الكتب ، مصر ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م.
معالم التنزيل - البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود ، ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون ، ط٤ ، دار طيبة ، مجمع الملك فهد للطباعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
مقاييس اللغة - ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم - طهران ، ١١٠٤ هـ.
المنصوري في الطب - الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، ت ٣٠٣ هـ) ، تحقيق وشرح : الدكتور حازم البكري الصديقي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧م.
الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي (محمد حسين) ، ط٢ ، دار الكتب الإسلامية - طهران ، ١٣٨٥ هـ. ش.